رسالة بغداد

الحمداني يلتقي وفداً من الآثاريين الإيطاليين

13 شباط (فبراير)

استقبل وزير الثقافة والسياحة والآثار عبد الأمير الحمداني بمكتبه وفداً من الاثاريين الإيطاليين برئاسة البروفيسور روبيرته فينكو، وبحث الوزير عدداً من القضايا التي تخص مدينة الحضر الاثارية.مثنياعلى الجهود الجيدة التي تبذلها الوفود الاثارية الأجنبية في العراق من خلال أعمال الترميم والتدريب والتنقيبات الأثرية في العراق ، كما بحث الحمداني مع الوفد جملة من القضايا التي تخص الترميمات بمدينة الحضر وأعمال تجميع القطع الخاصة بالتماثيل الأثرية وجعلها بشكل كامل.

وعلى ذات الصعيد تم الاتفاق بين الجانبين على افتتاح قاعة الطفل بالمتحف العراقي الاسبوع المقبل والذي يضم ورشة عمل للأطفال لرسم التماثيل الموجودة بالمتحف العراقي وتدريب الكوادر الاثارية بالمدينة.

محمد جبار

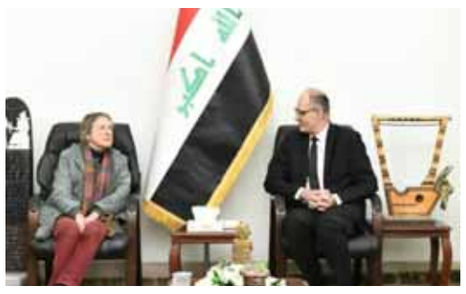

قراءة في قصائد السماوي والغوار وزنكنة

ذات الشعراء وفاعليتها الدلالية

عيسى الصباغ
بغداد

من الاساليب اللغوية الحديثة التي سادت في قصائد شعرائنا المعاصرين استعمال "ذات" وما تضاف اليه نحو "لقيته ذات شجن" أو تعاهدنا ذات وجد وما شابه . والحقيقة ان هذه الأسلوب يلفت النظر اليه ويحث على دراسته وكشف مراميه ، وقد اخترت لهذه المهمة ثلاثة مقاطع شعرية تضمنت هذا النوع من الاساليب لفحصها في ضوء السياقات التي وردت فيها . وقبل الدخول في نقد المقاطع الشعرية وتراكيبها اللغوية أوردت مقدمة مختصرة حول مألوفية هذا التركيب في اللغة العربية .

"ذات" اسم لازم للإضافة ، وتُستعمل بمعنى صاحبة ، وهي مؤنّث مذكّرها "ذو" . نقول هو ذو علم وهي ذاتُ علم أيْ هو صاحب علم ، وهي صاحبة علم . جاء في لسان العرب (وقال الليث في تأنيث ذو ذات ، تقول : هي ذات مال) ، وإذا وقعت على التثنية والجمع نقول : "ذواتا أفنان" وذواتُ أفنان . وشاع استعمالها في الأزمان ، فمما ذُكر في اللسان (لقيته ذات يوم وذات ليلة) و (تقول : أتيته ذات الصبوح وذات الغبوق ؛ إذا أتيته غدوة وعشية) ، كما ورد فيه أيضا (تقول : لقيته ذات يوم وذات ليلة وذات العشاء وذات مرة ... وإنما سُمع في هذه الأوقات ، ولم يقولوا : ذات شهر ولا ذات سنة) ، كما يقال (جاء من ذي نفسه ومن ذات نفسه) كناية عن المجيء بإرادته ، (وقال الليث : يقال : قلّت ذات يده ؛ قال : وذات هاهنا اسم لما ملكت يداه كأنها تقع على الأموال ، وكذلك عرفه من ذات نفسه كأنه يعني سريرته المضمرة) ، وهذا الاستعمال لـ"ذات" كنائي ونحوه "ذات شفة" كناية عن الكلمة وذات الصدور كناية عن خفاياها ، ومن استعمالاتها : ذات اليمين وذات الشمال أي جهة اليمين وجهة الشمال وفي القرآن (وَنُقَلِّبُهُمْ

طلال الغوار

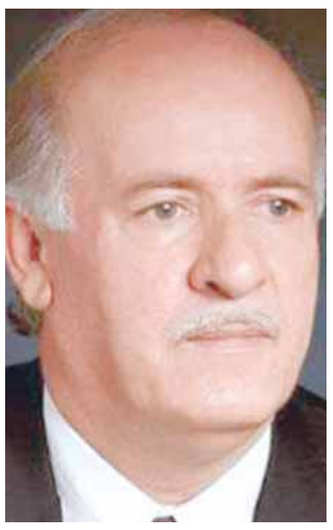

يحيى السماوي

ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) . هذا هو السائد في استعمال هذا الاسم (ذات) ، وقد تطور استعماله لدى الكلاميين العرب ، نقل ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد قول السهيلي: (وأما " الذات " ، فقد استهوى أكثر الناس- ولا سيما المتكلمين- القول فيها ، إنها في معنى النفس والحقيقة ، ويقولون : "ذات الباري هي نفسه" ، ويعبرون بها عن وجوده وحقيقته) . واستعملها المعاصرون معنى التوكيد مثل نفسه وعينه ، يقال : قرات الكتاب ذاته . غير أننا هنا معنيون بدلالتها اللغوية وتجدّد استعمالها لدى مجايلينا من الشعراء ، فقد وردت في شعرهم بتراكيب لغوية جديدة لم يألفها الأقدمون بل المحدثون ممن سبقوهم في مضمار الشعر ، وقد اجتزأت هنا ثلاثة مقاطع لشعراء معاصرين ورد التركيب فيها بصيغته المستحدثة وهم يحيى السماوي وطلال الغوّار وصلاح زنكنة :

يقول السماوي :

وهُيامي - ذات عشق - بابنة التفاح ..
و الأعناب .. والتين ..
ومغناج لعوب .

ويقول الغوّار :

أتذكرين ذاتَ شوق
قطفتُ نجمةً من حدائقك
وهربتُ بباقة قبلات .

أما صلاح فقوله هو :

سأموت ذات نشوة
على سرير جسدك .

فالتراكيب : ذات عشق ، وذات شوق ، وذات نشوة . استُخدمت على غير ما هو مألوف في أساليب العربية ،مع التأكيد أن هذه الصيغ سادت في شعرنا في السنوات المتأخرة . فما الدلالة الجديدة المستوحاة من هذا التركيب ؟

ما يلاحظ على هذا التركيب

1- أن "ذات" أضيفت الى نكرة .

2- والنكرات التي أضيفت اليها أسماء جنس (ذات عشق ، ذات شوق ، ذات نشوة بدل ذات يوم أو ذات ليلة ..... الخ) .

3- سياقها دال على الزمن لوقوعها تحت تأثير الفعل أو المصدر ، وكأن التركيب استبدل بظرف الزمان المحدد (ليلة ، يوم ، صباح ...) اسم جنس إفرادي (عشق ، شوق ، نشوى) . يرى أبو البقاء الكفوي في كلياته أن "ذات يوم" ونظيرها (من قبيل إضافة المسمى الى اسمه أي مدة مصاحبة هذا الاسم . ونظيره خرجت ذات مرة وذات ليلة .... وفي حواشي المفتاح ذات مرة منصوب على الظرفية صفة لزمان محذوف تقديره زمان ذات مرة) ، عليه أن "ذات" الدالة على المصاحبة تكتسب الزمنية من إضافتها الى ظرف الزمان المحدد (يوم ، ليلة ، صباح ، مساء ....) بل وتوحي بوقوع أزمان أخرى سابقة (زمان ذات مرة) ، أي ذات ليلة من ليالٍ أخر مرت ، وذات يوم من أيام مضتٍ . ولكن في تركيب الشعراء لم تُضف الى زمن ، وإنما أضيفت الى اسم جنس إفرادي ،على أن التركيب المستحدث بقيت فيه رائحة الزمن .

إن قول الشاعر صلاح زنكنة :

سأموت ذات نشوة / على سرير جسدك .

تضمّن ثلاثة عناصر شعرية أو ثلاثة أنساق بتعبير كمال أبو ديب : الموت والنشوة وسرير الجسد ، والتعبير "ذات نشوة" يوحي بتكرار النشوة (هناك نشوات لم يمت فيها) ذلك أنه منقول من تركيب ظرفي دال على الزمن (ذات ليلة ، ذات يوم ...) وفي واحدة من تكرار النشوة (ذات نشوة) سيموت ، وفي تفسير أبي البقاء يتحقق الموت مدة دوام النشوة ومصاحبتها ، مما يعني أن الموت هنا مجازي ، غياب عن العالم وفناء في الآخر –الجسد . وظيفة السرير هي الاسترخاء والشعور بالراحة، ويقترن بالإثارة الجنسية اذا ما ارتبط بالجسد (على سرير جسدك) . يرى فوكو " أن الجسد هو المأوى والمثوى ووجوده علامة على وجود الروح وسعادتها " ، ومن سعادات الروح الشعور بالنشوة (ذات نشوة) . وعلى وفق ثالوث فرويد : الهو والأنا والأنا العليا ، فإن أنا الشاعر تظهر في (سأموت) وتزداد كثافتها في النشوة ، في حين أن تعبير (سرير جسدك) يمثّل (الهو) أي الغرائز والشهوات ، ولابد من القول أن الأنا العليا غائبة تماما في هذا المقطع الشعري ، وغيابها هنا أمر طبيعي ، فهي خصيصة بنيوية نكاد نلمسها في أغلب النصوص الآيروسية .

وفحوى التركيب أو بنيته تتكرر لدى الشاعر السماوي :

وهُيامي - ذات عشق - بابنة التفاح ..
و الأعناب .. والتين ..
ومغناج لعوب .

التَعبير "ذات عَشق" وقع في سياق يشي بأن الهيام انبجس من نفس الشاعر مدة دوام عشقه بابنة التفاح والأعناب ، وهي كناية عن الخمر ، والزمن هنا يبدو غير محدد ، فهو مرتبط بعشقه لها ، ومن المناسب القول ان الخمر مقترن بالخفة والتحلل من الضوابط ومكبّلات النفس لذا فهي تتواءم مع تعبيره الشعري " ومغناج لعوب " وهي المرأة في حركتها وصوتها دلال وتكسّر وخفّة ، وتشكّل "هُيامي" حلقة أخرى في هذه السلسلة الدلالية فهي تعني الشغف الشديد والتحيّر (وهام الشخص على وجهه : خرج وهو لا يدري أين يتوجّه ، سار بلا قصد) . فالمقطع الشعري منسجم صورة ودلالة وهو في حركة دائبة وتموّج حتى ليبدو أنه انبثق من واقع نفسي لا يريد أن يركن الى الهدوء والاستقرار فهو في تطلّع وتحرّر دائمين، ويكاد يشكّل التعبير "ذات عشق" نواة دلالية لما في العشق من إفراط واندفاع يميّزه عن الحب . لذا نرى أن حركة المقطع انمازت بالخفة والتماوج ، وقد قام المصدر "هيامي" ، بدل الفعل ، بإضفاء هذه الحركية وذلك بتعاشقه مع سائر العناصر الشعرية الأخرى فيه .

وفي مقطع شعري آخر يقول الغوّار :

أتذكرين ذاتَ شوق
قطفتُ نجمةً من حدائقك
وهربتُ بباقة قبلات .

" ذات شوق " تركيبٌ إضافي ، وهو من إضافة النكرة الى النكرة ، وقد أشرت الى شيء من هذا في بداية المقالة. وهذا النوع من الإضافة يخصّص ولا يعرّف ، وغاية التخصيص أنه يضيّق نطاق النكرة ، وربما يقرّبها من التعريف غير أنه لا يعرّفها كما قلت آنفا . و"ذات شوق" مدة مخصصة بالشوق وهي لاحقة سردية ، ذلك أن زمن السرد هو الحاضر ممثّلا بالفعل: أتذكرين ؟،وصيغته الاستفهامية مهّدت الانسلال الى الماضي أو تذكّره أو استرجاعه ، فالفعلان قطفت وهربت وما تعلّق بهما استذكار سردي وقد وقعا في لحظة شوق عارمة ودلّا هنا على شدة التملّك والاستحواذ ،ذلك أن (الشوق نزاع النفس الى الشيء) وإثارة اللهفة اليه ، والتعبير "ذات شوق" منطلق بناء ما وقع في الماضي ، وهو مبنى الفعلين "قطفت" و "هربت" اللذين خرقا الطابو الاجتماعي ، إذ بخرقهما ناسبا فاعلية التعبير اللغوي " ذات شوق" وعرامته . التركيب " نجمة من حدائقك " أضاء اللوحة الشعرية بل أن "باقة القبلات" التي هرب بها –وهو تعبير شعري جميل وفيه رغبة جامحة تدل على حاجة نفسية غير مشبعة –اكتسبت نورها من نجوم حدائقها حتى ليبدو أن كل قبلة في هذه الباقة نجمة مضيئة .

كيف وصلت نسخة من التوراة إلى مكتبة الكويت العامة؟

نعيم عبد مهلهل
دورسفلت

1

في الجرد السنوي لكتب المكتبة العامة في مدينة الناصرية يتم تشكيل لجنة من ثلاثة موظفين يتم تسميتهم من قبل المتصرفية .ولكن في عام 1964أضيف الى اللجنة موظف اتى من بغداد موفدا من اجل المشاركة في عملية الجرد ، ولا يعرف اي واحد طبيعة مهمته وغرضها . وكان سؤاله الوحيد لأمين المكتبة : توجد في المكتبة نسخة من توراة قديمة اهداها المعلم اليهودي يوسف حبو عند تاسيس المكتبة العامة عام 1945.

فتذكر أمين المكتبة أن معلما كان قد استعار تلك التوراة ولم يرجعها الى المكتبة ، وحين انتهت مدة الاستعارة تم تغريمه الثمن المقدر للكتاب وهو ثلاثة دنانير ،تم دفعها من قبل المستعير ووصل القبض محفوظا في اضابير ذاتية المكتبة.

قال الموظف القادم من بغداد : وتعرفون اين يسكن هذا المعلم.

- نعم أنه ابن مدينة وصديق ويسكن في محلة السراي .

- ولماذا لم تستعيدون الكتاب منه بالقوة او بالحسنى .؟

- نظام المكتبات العامة يقول ، من لا يعيد الكتاب يغرم ثمنه المقدر ، والرجل لانعرف لماذا لم يعد الكتاب ولكنه دفع ثمنه وفي العادة يكون مضاعفا مرتين.

قال الموظف : انت ترتكب خطأ سياسيا وتاريخيا عنما تفرط في كتاب كهذا.

قال امين المكتبة : هنا في مكتبتنا لا يوجد لدينا تصنيف للكتب النادرة ، ولم يخبرنا احد بأهمية هذا الكتاب كنا نحسبه كتابا دينيا مثل الكتب السماوية الاخرى ولدينا منها نسخ عديدة ، ولو اتى الامر من بغداد بضرورة الحفاظ على نسخة التوراة هذه ،لما اعرناها لاحد ،ومن يريد ان يطلع عليها سيطلع عليها داخل المكتبة فقط.

قال الموظف : وهل تعرف بيت هذا المعلم الذي استعار التوراة؟ .

- نعم .

ذهبوا الى بيت المعلم الذي اخبرهم انه استمتع بقراءة التوراة لولعه في التاريخ العراقي القديم ،وانه اراد الاحتفاظ بالتوراة ودفع الغرامة ما دام القانون يبيح له ذلك . وانه قبل اشهر سافر الى الكويت وضيفه احد الأصدقاء وكانت نسخة التوراة قد اخذها معه يقضي فيها ملل الطريق ، فانتبه الصديق الكويتي لها ، وسأله ان كان يريد بيعها ، فأن المكتبة العامة في مدينة الكويت العاصمة تشتريها .

ضحك المعلم وقال :لقد قرأتها مرات عديدة وسأبيعها حتى لو بخمسة دنانير ، لأني دفعت غرامة الكتاب ثلاثة دنانير واريد ربحا دينارين .

في اليوم الثاني ذهبا الى المكتبة العامة في مدينة الكويت وكان امينها رجلا مصريا الذي سكنته الدهشة والعجب ما ان عرضا عليه الكتاب التوراة وقال بارتباك : هل هذا الكتاب مسروق من كنيست يهودي في العراق ؟

رد المعلم : كلا ،هذه التوراة استعرتها كأي كتاب من المكتبة العامة ولم اعده اليهم ودفعت غرامته ثلاثة دنانير ،وهذا بين اوراق الكتاب وصل الغرامة.

- والان تريد ان تبيعه ؟

- مضيفي الكويتي وهو اقاربي اقترح علي ذلك ووافقت .

- وكم تريد ثمنه ؟

- خمسة دنانير .

- كلا سنعطيك مئتي دينار ،ولكن نشتريه منك بمكاتبة .

يقول المعلم : لم اصدق عرضا خرافيا مثل هذا ، وحين عدت ، جددت غرفتين في بيتي وبنيتهما من جديد ،وغرفة الضيوف التي تجلسان فيها الان واثاثها من بركات التوراة ،وما بقيَ من المبلغ اشترينا به نيشانا لعرس ولدي.

عاد الموظف الى بغداد بخفي حنين ، فلم يكن بمقدوره محاسبة مواطن استعار كتابا ودفع غرامه عدم اعادته .وقال لأمين المكتبة : لقد خسرنا ارثا وطنيا.

2

بعد غزو الكويت كانت هذه التوراة من ضمن مقتنيات المكتبة العامة في العاصمة ، وقد نهبت من ضمن ما نهب من الارشيف الوطني الكويتي ، وقد وقعت تلك التوراة في يد جندي خريج في احدى الوية الحرس الجمهوري ويسكن حي سومر في الناصرية ، الذي انتبه الى ان هذا الكتاب الديني يحمل ختمين ،الاقدم هو ختم مكتبة الناصرية العامة ،والثاني ختم مدينة الكويت العامة . ولأنه خريج ومثقف فانه اخذ التوراة الى المكتبة العامة في الناصرية ،لكن احدى الموظفات رفضت استلامه لشعورها ان هذا قد يسبب لها ولأمين المكتبة اشكالات السؤال والجواب.

الجندي اخذ الكتاب الى مدرسته الثانوية التي انهى منها السادس العلمي ،واعطى الكتاب الى مدير المدرسة اهداء لمكتبتها ، والمدير بدوره اعطاه الى مدرس التاريخ الذي دون حتى ان يقلبه نضده بين كتب المكتبة الصغيرة.

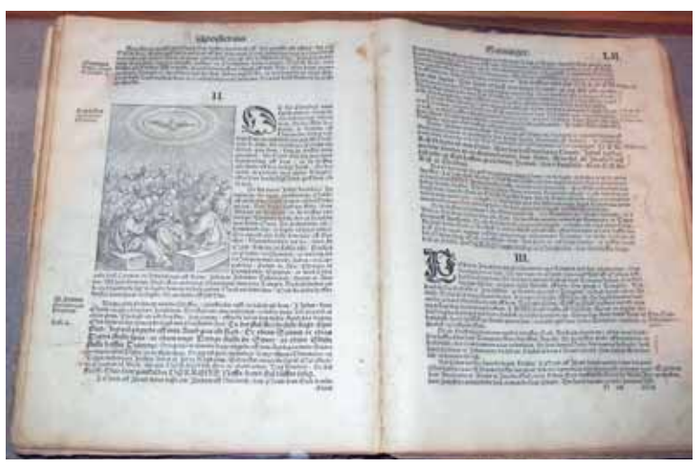

اللغة عماد الثقافة

معراج أحمد معراج الندوي
كولكاتا

اللغة هي الوسيلة التعبيرية الأولى التي يعبر فيها الإنسان عما يجول في خاطره من آراء وأفكار وأحاسيس ومشاعر. اللغة هي وسيلة للتواصل بين أفراد المجتمع، فالمجتمعات تتواصل وتتفاهم عبر اللغة، لذلك لا يمكن أن توجد الشعوب بدون وجود اللغة. اللغة هي مرآة المجتمع تعكس صيغ الأخذ والعطاء بغية معرفة منطق الإيحاء اللفظي لظاهرة التفاهم.

وفي الوقت ذاته هي تلك الأداة التي يتسلح بها الفرد للدفاع عن نفسه وإيصال فكرته بدافع مشجر الإحساس لإدراك الفهم والتفكير. اللغة هي مجموعة معينة من قواعد الكلام في مجتمع معين، واللغة أيضا جزء من ثقافة المجتمع الذي يتحدث تلك اللغة. فالبشر يستخدمون اللغة كوسيلة للتعبير الهوية الثقافية.

توجيه التفكير

تسهم اللغة في توجيه التفكير لدى الإنسان، فمن الضروري الاعتناء بها وتوريثها إلى الأجيال اللاحقة، فاللغة هي مرآة ثقافته وهي الوسيلة التي تستخدمها الشعوب للتعبير عن العناصر المختلفة للثقافة عن عاداتها ومفاهيمها وتقاليدها وقوانينها. فاللغة هي المرآة الحقيقية لثقافة أي شعب من الشعوب الإنسانية.

إن للغة من أهم الروابط المعنوية التي تربط الفرد البشري بغيره من الناس، واسطة للتفاهم بين الأفراد وآلة للتعليم. فإذا كانت اللغة هي عماد الثقافة، فوظائف اللغة ذات صلة بالثقافة، وعمليات التعليم والفكر والسلوك التي تتم بواسطة اللغة هي عناصر ثقافية. وباعتبار أن اللغة من أقوى الوسائل التعليمية، فهي تساعد الفرد على تكييف سلوكه وضبطه،حتى يناسب هذا السلوك تقاليد المجتمع الذي يعيش فيه.

اللغة هي الناطق الرسمي باسم الثقافة لأن اللغة هي جزء من الثقافة. فلا يمكن للإنسان أن يشرح للآخرين وجوه التميّز الثقافي لدى أمته وشعبه ولا يمكن أن يتعرّف على الثقافات الأخرى في هذا العالم. من هنا تأتي أهمية اللغة في بناء المجتمعات.

وإن التواصل بين أجيال االمجتمع الواحد عبر العصور المختلفة يتم بواسطة اللغة، وهي الأداة التي تعتمدها التربية وعلومها. لا يمكن بناء اللغة والثقافة خلال يوم واحد، بل إن اللغة والثقافة هي نتيجة لتراكم آلاف السنين.

أما الثقافة فهي جميع النتاجات المادية والمعنوية التي انتجتها المجتمعات عبر تاريخها في سبيل الحفاظ على ديمومة واستمرارية حياتها، واللغة جزء من هذا النتاج لأن المجتمعات تؤسس نفسها من خلال اللغة، إن اللغة هي جزء مهم من الثقافة والثقافة تحدد هوية الشعوب.

إن اللغة ترتبط بين الثقافة وأبناء بيئته تلك الثقافة، واللغة هي الوسيلة الأولى لنقل الثقافة خارج حدودها، لذا فإن ما يقترب على العولمة الثقافية هو هذا الربط بين الثقافة واللغة حيث أن الإنسان في هذه العصر لم يعد يتنتمي إلى ثقافة أرضه ودينيه.

علاقة وطيدة

إن هناك علاقة وطيدة بين الثقافة واللغة، فلا ثقافة بلا لغة، ولا لغة بلا ثقافة، فاللغة والثقافة مرتبطان معا لا تنفك أحدها عن الأخرى. تحتفظ الغة بالتراث الثقافي جيلا بعد جيل، وتجعل للمعارف والأفكار البشرية قيمها الاجتماعية بسبب اسستخدام المجتمع للغة. إن نشأة الثقافة ونموها لا يتم بدون اللغة التي تمكن الإنسان من تحقيق التعاون الاتصال مع غيره.

إن اللغة والثقافة جزء لا يتجزأ تنشأ وترعرع في وقت واحد وهذا ما تجسده قوة العلاقة بينهما وترابطهما المتين.

فاللغة والثقافة على حدّ سواء كوسيلة لاستخدام الرموز في بناء الهُوية الاجتماعية والحفاظ على التماسك الاجتماعي في إطار مجموعة اجتماعية. واللغة لا تكسب الثقافة فقط لأبناءها بل تنقلها من شعب إلى آخر، من أمة إلى أمة أخرى، وهذا يعني أن تعليم أية لغة وتعلمها لا بد من أن يتم في إطار ثقافتها.

باعتبار أن الثقافة ظاهرة خلقية وارشادية تنجم بين بني البشر، فاللغة هي مصدرها ونبع وجودها، تخلقها مبادئ التدوين والمشافهة التي عمادها وسائل الإعلام وما يبرزه الفكر التنويري من نتاجات فكرية، تستند عليها الرموز والدلالات التي بدورها تعتبر وسائل تعبيرية لا يمكن الاستغناء عنها في عملية التواصل للمعرفة البشرية والانسانية.

هذه اللغة التي تساعد على استدراك النهضة الفكرية في كافة جوانبها وتشكل ظاهرة اكتساب معرفة جديدة لبناء الشخصية المعطاءة المتسمة بروح التفاؤل في الأخذ والعطا. وإن الاهتمام باللغة هو فاتحة العمل الثقافي لأن اللغة ركن أساسي من أركان الثقافة، وإن أي عمل ثقافي لا يبدأ إلا باللغة.

□ الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها